

العناصر السلوكية في الطريقة السمعية الشفوية في تعليم اللغة الثانية

بقلم: ألف تجهيا سيتياي وهمة المحموده
جامعة دار السلام كنتور فونوروكو إندونيسيا

ملخص

السلوكية هي إحدى النظريات في علم النفس التي تبحث عن سلوك الإنسان الظاهر. ومن خصائص نظرية التعليم السلوكية هي جعل المعلم عميل سياسي في تلقين الطلبة ودعايتها الجازمة بالإشراف الفعال أو الإجرائي للسلوك اللغوي ونوع من ردود المثيرات المقدمة إليه. انطلاقاً من هذه الخصائص أحدثتها النظرية والطريقة السلوكية. النظرية السلوكية يمكن توسيع تطبيقها إلى أن تصبح نظرية تعلم اللغة وتعليمها. أما بالنسبة طريقة التعليم المتبنى من هذه النظرية هي الطريقة المباشرة والطريقة السمعية الشفوية. ولهذه الطريقة عناصرها السلوكية التي لا بد لكل معلم امتلاكها. فمن خلال هذا البحث حاول الباحث أن يكتشف هذه العناصر بشكل مجمل وأوضح.

الكلمات المفتاحية: السلوكية، اللغة، اللغة الثانية، وتعليم اللغة.

المقدمة

تعتبر النظرية السلوكية من إحدى دراسات علم سيكولوجيا التي تركز في سلوك الإنسان وتتحدث هذه النظرية عن سلوك الانسان كظاهرة من بعض المثيرات. وهي اشتهرت بالمثير والاستجابة والتعزيز (*Theory Stimulus Response Reinforcement*) في جميع المجالات ومنها التعليم. لأن التعليم عبارة عن إستجابة للمثير التي يقوم بها المتعلم. ومن خصائصها في التعليم أن يكون

المعلم أكثر نشاطا وفعّالا مع أن المتعلم لا يدرك ماذا فعل فأصبح المعلم المثير على المدخلات وعمليات سلوك الإنسان.¹

ويكون التعليم في هذا الإطار هو عملية ذهنية واعية لإكساب الأنماط من العادات الجديدة للاستجابة إلى المثيرات في تلك العملية. والأصوات والقاعدة والأساليب هي الأنماط من العادات الجديدة في تعليم اللغة الثانية. يحتاج متعلمو اللغة العربية إلى تحويل قاعدة اللغة التي استولى عليها إلى اللغة الثانية الهادفة. فهذه النظرية تتضمن المعنى أن قاعدة اللغة الأولى التي تساوي بالثانية وقد يكون بذلك تسهيفا للطالب تعلمها، وبالعكس أن التفريق بينهما يصعب الطالب تعلمها². وكانت هذه السلوكية تؤثر عدة طرق تعليم اللغة منها الطريقة المباشرة والطريقة السمعية الشفوية حيث لا تنفصل عنها.

العوامل الأربعة للسلوك اللغوي

أ. المثير (Stimulus)

إن مصطلح المثير والاستجابة من المفاهيم الأساسية المستخدمة في سيكولوجية التعلم، ويصعب تعريفهما بمصطلحات محددة وبسيطة، لأن السلوك يحدث في سياقات تتعدد فيها المثيرات والاستجابات، بحيث يصعب ضبطها في بعض الأحيان. ويمكن تعريف المثير بشكل عام بأنه الحادث الذي يستطيع الملاحظ الخارجي تعيينه، مفترضا بأن له تأثيرا في سلوك الفرد موضوع الملاحظة. أو أنه العامل الخارجي الذي يتعرض له الكائن الحي أو أي تغير داخل الكائن بفعل عامل خارجي، ككل ما ألقى المدرس إلى تلميذه أو البيئة التي سكن

¹ Abdul Chaer, *Psikolinguistik Kajian Teoritik*, (Jakarta: PT Rineka Cipta, 2003), p. 87

² Ahmad Syukur Ghazali, *Pemerolehan dan Pengajaran Bahasa Kedua*, (Jakarta: Proyek Pengembangan Guru Sekolah Menengah IBRD Loan no 3979), p. 29-30

التلميذ فيه.^٣ ثم قسم سكينر المثير إلى شيئين مهمين، الا وهما المثير الشرطي والمثير غير الشرطي:^٤ المثير الشرطي (*Conditional stimulus*) والمثير غير الشرطي (*Unconditional Stimulus*).

ب. الاستجابة (*Response*)

والاستجابة تعني ردود الأفعال الظاهرة وغير الظاهرة بما في ذلك الصور والأفكار التي تحدث بفعل مثير ما، والاستجابة كالمثير، يجب أن تكون قابلة للتعيين على نحو مباشر أو غير مباشر، ولكنها تختلف عن المثير من حيث يمكن تعيينها دون الرجوع أو الإشارة إلى الحادث الذي استثارها أو أحدثها، في حين لا يغدو الحادث مثيراً إلا إذا استثار أو أحدث استجابة ما.^٥ ولها نوعين: الاستجابات التي تحدث كرد فعل لمثيرات محدّدة (*Respondent Response*)، وهو الاستجابة الحاصلة من مثيرات معينة، مثل البكاء الناجم عن تقطيع شرائح البصل والتي ينجم عنها (سلوك استجابي).^٦ والاستجابات التي تحدث من دون وجود مثير حمدّ، والتي تعرف بآثرها على البيئة وليس من خلال المثيرات التي تستدعيها. وينجم عن هذه الاستجابات (سلوك إجرائي) (*response Operant*) يعمل في البيئة المحيطة.^٧

^٣ جابر عبد الحميد جابر، سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم، (الكويت: دار الكتب الحديث: ١٩٨٢)، ص. ١٦٥

^٤ علي حسين حجاج وعطية محمود هنا، نظريات التعلم دراسة مقارنة، (الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٣)، ص. ٦٩-٧٠

^٥ عبد المجيد نشوي، علم النفس التربوي، (بيروت: جامعة اليرموك، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧)، ص. ٢٧٧

^٦ Sumadi Suryabrata, *Psikologi Pendidikan*, (Jakarta: PT Raja Grafindo Persada, Cetakan Kesebelas, 2002), p. 271

^٧ Muhibbin Syah, *Psikologi Pendidikan Dengan Pendekatan Baru*, (Bandung: PT Remaja Rosda Karya, Cetakan kesepuluh, 2004), p. 98

ج. التعزيز (Reinforcement)

يستخدم الثواب والعقاب في حياتنا اليومية على نحو واسع، لما ينتج عنهما من آثار في السلوك، ويكسر الكائن البشري جزءاً من نشاطاته اليومية، لمعرفة الأكيدة بأن السلوك المرغوب متبوع بالتعزيز. والتعزيز هو الحادث أو المثير الذي يؤدي إلى زيادة احتمال تكرار حدوث الاستجابة لموضوع التعزيز، أي الاستجابة المسبقة بالتعزيز مباشرة. فإنه جانب أقوى بكثير من مجرد الربط بين مثير واستجابة.^٨

د. التعديّة (Habituation)

العادة عند سكينر هي آلية العادة يمكن إثباته بسهولة داخل المعمل باستخدام الإشراف الإجرائي، والمراد منه أن تنشأ العادة ألياً أولاً ثم يحدث الإستبصار بعد ذلك، بعد ما تتضح عناصر الموقف، وغنى عن البيان أن هذا الإستبصار يتباين من فرد الآخر، بل من كائن إلى كائن. ويرى أيضاً بأن اللغة عادة، والعادة ستكمل بعد التدريب الكثير ومتكرر. لأن التدريب عملية مهمة ولن يمكن تفصل في تدريس اللغة الأجنبية، مهما كانت في تطبيقها موجه إلى مناهج مثل دراسة الفهم أو دراسة الصوت اللغوية أو بمناهج الأخرى. وقعت هذه العادة بسبب إجراء العادة كما الواقع في الإشراف الكلاسيكي والإشراف الإجرائي، والمثال: الطالب الذي يتعلم اللغة ويحب هذه اللغة سوف يتحذرو ويتعد عن الخطأ، إما من إزالة اللسان من لحن القول أو من الأخطاء الشائعة الأخرى، والحاصل من ابتعاد هذه الأخطاء هي العادة على استعمال اللغة بالنطق الصحيح السليم.^٩ أما الإعادة في تعلم اللغة من مواد المثير

^٨ دوجلاس بروان، أسس تعلم اللغة وتعليمها، الجزء الثالث، (بيرت: دار النهضة العربية:

١٩٩٤)، ص. ٨٦

^٩ Muhibbin Syah, *Psikologi Pendidikan* , p. 118

والاستجابة هي الحالة التي ترجى من عملية التعلم.^{١٠} إذا، كانت العادة عاملة من عوامل السلوك المهمة في اكتساب اللغة بجانب المثير والاستجابة والتعزيز.

مفهوم الطريقة السمعية الشفوية

ظهرت هذه الطريقة في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الذي ظهرت فيه الطرق الأخرى السابقة عليهما في أوروبا. وذلك بظهور حاجة الجيش الأمريكي الماسة في النصف الأول من هذا القرن للاتصال بالشعوب الأخرى سواء أكانوا حلفاء أم كانوا أعداء.^{١١} وكانت لهذه الطريقة دور معلم اللغات الحية في ثلاثة أنشطة واضحة، الأول أن يكون المدرس نموذجاً لطلبة في النطق السليم والاستخدام الصحيح للغة، والثاني أن يحكم المعلم على أداء الطالب ويصحح أخطاءه بمجرد حدوثها، وأما الثالث فأن يقوم المعلم في حجرة الدراسة بتنظيم ترديد الطلبة للأنماط اللغوية، ويطلب منهم إجراء بعض التعديل والتغيير فيها حسب ما يزودهم به من توجيهات، ويستمر في تشجيعهم على المحاكاة والترديد حتى يشعرونها قد أتقنوا النمط الجديد قبل الانتقال إلى نمط الآخر.^{١٢}

وتبدأ هذه الطريقة في اللغة الثانية بتعليم الوحدة الصوتية والأنماط الصوتية قبل محاولة تعليم القراءة والكتابة، ثم توجب استخدام المعينات الصوتية والبصرية من أشرطة تسجيل وأفلام تعليمية وغيرها.^{١٣} ثم أكدت بالمطالعة والتعريفات عن اللغة وبالنظام الصوتي والدلالي، ثم النظام الصرفي

¹⁰ Hamzah B. Uno, *Perencanaan Pembelajaran*, (Jakarta: PT Bumi Aksara, Cetakan Pertama, 2006), p. 62

¹¹ رشدي أحمد طعيمة، المرجع في التعليم، الجزء الأول، (الخرطوم: جامعة أم القرى، ١٤٢٣)، ص. ٣٨٢

¹² صلاح عبد المجيد العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق. (القاهرة: مكتبة لبنان، ١٩٨١)، ص. ٤٩-٥٠

¹³ على الحديد، مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب، (القاهرة: دارالكتاب العربي للطباعة والنشر، دون السنة)، ص. ٥

ثمّ النظام النحوي. أدى الاهتمام بأن يكون الإنسان قادرا على الاتصال باللغة الأجنبية إلى صياغة مصطلح (السمعي الشفوي) ليطلق على طريقة تهدف إلى إتقان مهارات الاستماع والكلام أولا كأساس لإتقان مهارات القراءة والكتابة ثانيا.^{١٤} وهي التي اهتمت بجانب النطق بتركيزها على تدريبات الأنماط التي تعتمد على التكرار الشكلي الآلي.^{١٥}

صور عناصر سلوكية في الطريقة السمعية الشفوية

إن استيلاء أنماط الكلمة عند الطريقة السمعية الشفوية هو بالتدريبات بما يعرف بنموذج الممارسة وتتبع هذه التدريبات ترتيب المثير والاستجابة والتعزيز، لأن الممارسة في موقف تربط ذلك المثير بالحركات.^{١٦} ويكون المعلم نموذجا في عرض التدريبات ويشمل على السؤال كذلك صورة الجواب منه حيث يقلد المتعلم سؤالا وجوابا عقب المعلم مباشرة، ولتقوية هذا الترابط أن يكرر المعلم في هذا التدريبات إلى أن تصبح العادة.

وقد تشابه ذلك الأسلوب باعتراف عالم السلوكي بأن ما الذي يستطيع المرء أن يتعلم اللغة من العلاقة بين المثير والاستجابة هو وجودهما مع التعزيز.^{١٧} ولأن اللغة مؤسسا على البيئة والعادة فنتيجة المثير والاستجابة التي قواها بالتعزيز وبالتكرار ستصبح العادة كما في اكتساب اللغة الأولى. وهو النظرية من تطورات تجربة بافلوف وسكنر نحو الحيوان لأجل الحوصول على نظرية التعلّم والتعليم.

^{١٤} محمود كامل الناقبة، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، (المكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٨٣)، ص. ٨٨.

^{١٥} حمادة إبراهيم، الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها، (القاهرة: ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، ١٩٨٧)، ص. ٢٣٥.

^{١٦} جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، المناهج والنظريات، (الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، دون السنة)، ص. ٦٥.

^{١٧} Nazri Syakur, *Proses Psikologik dalam Pemerolehan Bahasa*, (Yogyakarta: Bagian Akademik UIN Sunan Kalijaga, 2004), p. 39

من البيان السابق أن المثير، والاستجابة، والتعزيز والتعدية هي العوامل المؤسسة في الطريقة السمعية الشفوية كما أنها مبعوثة من تجربة بافلوف وسكنر السابقة. إما أن يكون المثير والاستجابة من المعلم والمتعلم أو بين المتعلم.

أ. اللغة هي العادة، «التعلم العادة» وأن التعليم هو تكوين العادة

ومن مضمون ومدخل الطريقة السمعية الشفوية هي أن اللغة مجموعة منظمة من العادات وسوف يصبح سلوك أحد عادة متى كررت هذه العادة.^{١٨} وذلك بصورة تدريبات الأنماط اللغوية حتى يتمكن مواد التعليم في أذهان الطلاب. أما في السلوكية فإن العادة عند سكنر هي آلية العادة يمكن إثباته بسهولة بسهولة داخل المعمل باستخدام الإشراف الإجرائي،^{١٩} ويرى أيضا أن اللغة هي العادة، والعادة ستكمل بعد التدريب الكثير ومتكرر. بهذا الموقف، قامت السمعية الشفوية بمفهوم «أن اللغة هي آلية العادة»، ويكون الطلاب قد اكتسب سيطرة كاملة وآلية للنماذج النحوية، وأن تعليم اللغة الأجنبية عملية ميكانيكية في المقام الأول لتكوين العادة. من المهم أن حقيقة تعليم اللغة هو لا تهتم بحل المشاكل وإنما بتكوين العادات وأدائها. مطابقا برأي السلوكيين بأن تعلم اللغة الثانية لا يكفي إلا بمجرد المثير والاستجابة بل لا بد بالتعزيز والعادة.

ب. النظام الطبيعي

إن ترتيب المهارات في الطريقة السمعية الشفوية من استماع إلى كلام إلى قراءة إلى كتابة ليس ترتيبا قطعياً ملزماً، إذ يمكن تعليم هذه المهارات أو بعضها في وقت واحد وليس بالضرورة على وجه متتابعي، لأن أتباع هذه الطريقة

^{١٨} محمود كامل الناقعة، تعليم اللغة العربية.....، ص. ٨٨

^{١٩} Soenjono Dardjowirdjojo, *Psikolinguistik Pengantar, Pengantar Pemahaman Bahasa Manusia*, (Jakarta: Yayasan Obor Indonesia, 2005), p. 236

يؤسسون استدلالهم بأن الأذن واللسان يجب أن يتدربا أولا بدون معونة من اللغة المكتوبة،^{٢٠} وأنه ينبغي على الطالب في المراحل الباكرة أن لا يقرأ أي شيء لم يسبق أن تعلم أن يفهمه ويقول. طبقا بالسلوكية إلى أن تعليم اللغة عن طريق القياس (المضاهاة) أفضل من التحليل.^{٢١} فطريقة تعليم اللغة الأجنبية أو اللغة الثانية للطالب تشبه الطريقة التي يتعلم بها الطفل كلام والديه. كما أن الطفل يكتسب اللغة مما سمع من الأم حول الأصوات الطبيعية ثم يحاكيها بمجرد التقليد في المواقف الخاصة دالا على غرضه من شيء ما. فالمواد في الطريقة السمعية الشفوية تقدم في الصيغة المنطوقة قبل المكتوبة، فاللغة هي ابتداء ما يقال أما القراءة والكتابة فتأتي في مراحل لاحقة، وهو نفس النظام الطبيعي لتعلم لغة الأم، بدأ بنطق الأصوات حول البيئة الطبيعية، لأن تعليم اللغة الواحدة قياسيا على اللغة الأخرى لا تحليليا عما سبق ذكره في النظرية السلوكية. مع أن السلوك موضوع علم النفس أي علم الطبيعي.

ت. التركيز بالجانب الصوتي

إن الطريقة السمعية الشفوية تنظر إلى اللغة على أنها مجموعة من الرموز الصوتية. ومن دور المعلم في الطريقة السمعية الشفوية أن يكون نموذجا لطلبة في النطق السليم والاستخدام الصحيح للغة،^{٢٢} لأن هدف هذه الطريقة يعتمد أساسا على النشاط الشفهي أي تدريبات النطق وممارسة المحادثة مع إغفال النحو والترجمة في مادة التعليم. وقد اتصفت السلوكية تعليم اللغة الثانية شابه باكتساب اللغة الأولى، وكان هذا الاكتساب يبدأ بتعليم الوحدة الصوتية والأنماط الصوتية ثم التمايز عنها لتصبح الكلمات وتركها لتصبح

^{٢٠} دوغلاس براون، أسس تعلم...، ص. ٥٨.

^{٢١} جلال شمس الدين، علم اللغة.....، ص. ١٩٦.

^{٢٢} صلاح عبد المجيد العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها.....، ص. ٤٩.

جملة ذات معنى.^{٢٣} كم أن الطفل يتعلم اللغة الأولى عن أصواتها قبل وجود الكلمات أو الجمل في المواقف الطبيعية من الأم والأسرة والناس حوله. اعتمادا على ما رأت السلوكية فاهتمت الطريقة السمعية الشفوية بالجانب الصوتي في تعليم اللغة الأجنبية بصورة الحوار عند بدئه وممارسة المحادثة قبل الأشياء المركبة في اللغة. ومن مبدأ النظرية السلوكية إنها تأتي بالتشبه بين تعليم اللغة الثانية باكتساب اللغة الأولى، بأن الطفل يكتسب اللغة من الجانب الصوتي.

ث. المباشرة في تنظيم ممارسة اللغة

نظمت الطريقة السمعية الشفوية بتنظيم الاستماع واستعمال أنماط الحوار منظما على أن يكون الطالب يسمع ويتكلم مباشرة، لأن الهدف الأول هو السماع والكلام بحيث يكون المعلم يراقب أي تلميذ يتعلم لغة الأم، إنه يكرر الأشياء مرات مرات، فإنه يمارس اللغة كل الوقت في مرحلة التعلم.^{٢٤} كما تذكر السلوكية عند إعادة ظهور المثيرات فالممارسة تربط تلك المثيرات بالحركات مباشرة،^{٢٥} وقد يقع بعد وقت طويل الترابط بين الموقف والمثيرات، وبذلك سيقوى الترابط بين المثيرات والاستجابة المرغوبة بالتكرار المباشر والممارسة الكثيرة في كل وقت. بالنسبة إلى الطريقة السمعية الشفوية بأن الممارسة مباشرة للترابط بين المثير والاستجابة، أنها سيجعل الطلاب فاصحون في النطق والكلام. الممارسة بالحركة تقوي نتيجة الاستجابة الصحيحة ولاسيما إذ أدائها مستمرا. إن هذه القاعدة مما تؤخذ من النظرية السلوكية في حدوث المثير والاستجابة.

^{٢٣} جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩١)،

ص. ٨٧.

^{٢٤} دوجلاس براون، أسس تعلم...، ص. ٥٨.

^{٢٥} جلال شمس الدين، علم اللغة...، ص. ٦٣.

ج. أن تعليم اللغة بدأ بسماعة أصوات اللغة

من بعض أساليب الطريقة السمعية الشفوية، ينحصر اهتمام المدرس في المرحلة الأولى في مساعدة الطلاب على إتقان النظام الصوتي والنحوي للغة الأجنبية، بشكل تلقائي.^{٢٦} ويطلب من كل الطالب أن ينطقوا أصوات اللغة نطقاً سليماً، مع الإهتمام بالنبر والتنغيم والوقف. ولا يصرف اهتمام كبير في البداية لتعليم المفردات، إذ يكتفى منها بالقدر الذي يساعد الطالب على تعلم النظام الصوتي والنحوي للغة الأجنبية. كما أن بعض افتراضات السلوكية تقول بأن تعلم اللغة الثانية بدأ بسماعة أصوات اللغة لأن تعلم اللغة مقبوضة بالحواس الخمسة خاصة السمع،^{٢٧} وكان هذا التعلم يبدأ بالأصوات في التمايز لتصبح الكلمة ثم تركيبها لتصبح جملة ذو معنى.^{٢٨} أخذت الطريقة السمعية الشفوية نظرية السلوكية لجعلها عنصر هذه الطريقة من أن تعليم اللغة الثانية بدأ بسماعة أصوات اللغة قبل أن يتعلم الكلمات والجمل، لأن كما يرى سكنربان نجاح تعلم اللغة عندما يصبح أحداً قادر على إنتاج الأصوات الكلامية قبل الأشياء المركبة من الكلمات والجمل. والسمع هو الأساس في تعلم اللغة نحو تغيير السلوك.

ح. الاتصال المباشر بلغة الهدف

من مبادئ الطريقة السمعية الشفوية الأخرى أن التعليم في قاعة الدرس يجب أن يتم كله باللغة الهدف داخل الفصل في اتصالهم مع الآخرين،^{٢٩} مثل ما أشارت الطريقة المباشرة في اختيار مبادئها. واعتبرت النظرية السلوكية بأن استخدام اللغة الأولى عند تعليم اللغة الثانية أو لغة الهدف من المهيّج ما

^{٢٦} دوجلاس بروان، أسس تعلّم.....، ص. ٨٠.

^{٢٧} Abdul Chaer, *Psikolinguistik Kajian.....*, p. 91

^{٢٨} جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة.....، ص. ٨٧.

^{٢٩} رشدي أحمد طعيمة، المرجع في التعليم.....، ص. ٣٦٦.

لابد تجنبه بل اللازم.^{٣٠} ولأن الهدف الأول لهذه الطريقة هي القدرة على الاتصال بلغة الأجنبية وليس تعلم اللغة ذاتها مثل ما بينه علم اللغة البنائي، علم اللغة التقابلي أو علم اللغة الوصفي مع أن هذه فرع العلم متبنية من النظرية السلوكية عند سكينر.

خ. الإقلال عن ترجمة المواد إلى اللغة الأم أو اللغة الأولى

من خصائص الطريقة السمعية الشفوية «الإقلال عن ترجمة المواد باللغة الأولى»، لأن هدف هذه الطريقة هو الاتصال المباشر بلغة الهدف لا باللغة القومية. فمثلاً إذا تعلم الطالب اللغة الثانية اللغة العربية، فلا يجوز استخدام اللغة الأولى لديه لتكون وسيطة في تعلمه بل بالعكس أن يستخدم الطلاب لغة الهدف للاتصال مع غيره. أما بالنسبة لرأي السلوكية أن تعليم اللغة الأجنبية عملية ميكانيكية في المقام الأول لتكوين العادات. ومما ثبت جدواه استبعاد «المعنى» في المراحل الأولى لهذه الطريقة دون أن يجعل الطالب يعرف ما الذي يقوله، وهو أمر ممكن.^{٣١} فهذه النظرية السلوكية توافقها الطريقة السمعية الشفوية التي غايتها الرئيسية هي جعل التلاميذ يتكلمون في يومياتهم بلغة الهدف من غير ترجمتها إلى اللغة الأولى، كما في عملية ميكانيكية عند تعلم اللغة بعدم الوسيطة باللغة الأولى لأنه ضار عليه.

د. تقوية الاستجابة الصحيحة بالتدعيم (العادة)

في بعض افتراضات الطريقة السمعية الشفوية، أثار المعلم بمادة تعليم اللغة فيصدر الطالب استجابة صحيحة في اللغة الأجنبية تكون مفهومة فتكافأ بالتدعيم عن طريق قبول المدرس. وهي محتملة الأن أن تتكرر، وبالتدعيم

³⁰ Ahmad Fuad Effendy, *Metodologi Pembelajaran Bahasa Arab*, (Malang: Misykat, 2005), p. 36

³¹ جلال شمس الدين، علم اللغة.....، ص ١٨٦.

المستمر فإنها تتأسس في مخزون الطالب كاستجابة نفعية قادرة على أن تحصل على الرضاء له في صورة التفهم والقبول في مواقف الفصل، وتذخر بالكثير من الفرص للطالب لأن يستخدم استجابات صحيحة باللغة الأجنبية في الفصل يطلق على التدعيم بالقبول والفهم، لأن العادات تقوى بالتدعيم عند الاستجابة الصحيحة. فالتدعيم في مصطلح السلوكي يمكن أن يطلق في مجال الإشراف الكلاسيكي لبافلوف *classical conditioning* وكذا الإشراف الإجرائي لسكنر *operant conditioning*، وهو عند بافلوف تقديم الطعام فور قرع الجرس أي بعد الاستجابة الشرطية، وعند سكرن تقديم الحلوى أو ما شابه ذلك فور الأداء أي بعد الاستجابة أيضا.^{٣٢} فصورة التدعيم في الطريقة السمعية الشفوية مناسبة في النظرية السلوكية عن الإشراف الكلاسيكي والإجرائي عند بافلوف وسكرن انطلاقا من تجربتهما نحو الحيوان. مما يكون في المستقبل نظرية التعلم وتعليم اللغة.

ذ. عادة اللغة الأجنبية تتكون بطريقة أكثر تأثيرا بإعطاء الاستجابة الصحيحة وليس بارتكاب الأخطاء

لا يتعلم الفرد في الطريقة السمعية الشفوية عندما يرتكب الأخطاء، ولكنه يتعلم عندما يعطي استجابة صحيحة. أما الاستجابة الصحيحة فتقوى أفضل حينما تتدعم *reinforced* مباشرة بالثوات *reward* وهذا من أجل معرفة الطلبة بنتائج النجاح أو الفشل،^{٣٣} فإن هذا المفهوم عن التدعيم أو في بعض المصطلحات الأخرى التعزيز آلة التعليمية حيث يشجع الطلبة عند انتهاء كل خطوة بمعرفة مدى نجاحه. والاستجابة الصحيحة بصورة القدرة على النطق أصوات اللغة بدقة أكثر فأكثر إلى أن يصبح أكثر قربا من صوت اللغة الأم. انطلاقا

٣٢ المرجع نفسه، ص. ٧٤

٣٣ Ahmad Fuad Effendy, *Metodologi Pembelajaran....*, p. 36

من مفهوم سكون في العادة أنها آلية، فإن هذا المفهوم يترتب عليه تدعيم العادة حتى تقوى، فالعادة تقوى بالتدعيم فهذا المفهوم أساس للنظريات النفسية السلوكية منذ وجود قانون الأثر لثورنديك *Thorndike Law of Effect* والذي يقرر «حينما يتكون لدينا ترابط يقبل التعديل ويكون مصحوباً بـ أو متلوا بـ حالة من الرضا فإن قوة الترابط تزداد»^{٣٤} وطبيعة الحال فإنها لم تدعم بحالة من الرضا أو الثواب سوف تميل إلى أن لا تتكرر.

فمن وجهة نظر المدرس كلما تكرر وقوع الاستجابة الصحيحة كلما كانت الإجراءات التدريسية أكثر اقتصاداً، لأن المهارة الحقيقية للمدرس توجد ليس في تصحيح الاستجابة الخاطئة، أو المعاقبة عليها، وإنما في أن يخلق المواقف التي يحث الطالب فيها على أن يستجيب صحيحة. غير أنه طبقاً لإشراط سكون، فإنه لا يمكن تجنب الاستجابة الخاطئة، فعدد من الاستجابة يجب أن تحدث في هذا الإشرط الإجرائي أولاً قبل أن يضع المفحوص على تلك التي قرره أن يعتبرها الصحيحة. لذلك فمن الأفضل بوضوح أن يزود الطالب المبتدئ في إشرط إجرائي سكون بنموذج للاستجابة الصحيحة التي يمكنه أن يقلدها في الموقف المعتمد على المحاكاة، لا أن يترك لكي يستخرج الاستجابة الصحيحة بنفسها، لأنه يعتمد على خبرته السابقة مع لغته الأم.

ر. التعلم بالمحاولة والخطأ (Trial & Error)

من بعض مناهج الطريقة السمعية الشفوية، إذا لم يستطع الطلاب أثناء التعليم فيكرر المادة حتى يفهمهم ما شرح المعلم، وعلى المعلم أن يقابل الطلاب مباشرة في مكان ووقت واحد، لأن المعلم سيصحح إن كان الخطأ من نطق المتعلم مباشرة.^{٣٥} هذه تقنية طريقة التعليم بالمحاولة والخطأ عند

^{٣٤} جلال شمس الدين، علم اللغة.....، ص. ١٩٠

^{٣٥} محمد علي الخولي، أساليب تدريس اللغة العربية، (الأردن: دار الفلاح، ٢٠٠٠)، ص. ٣٢

الطريقة السمعية الشفوية. في ، إذا عدنا مرة أخرى إلى نظرية تعليم اللغة عند السلوكية وجدنا نقطة على أن العادة تتكون بصورة أكثر تأثيراً بإعطاء الاستجابة الصحيحة وليس بارتكاب الأخطاء سنجد نتيجة بالتأكيد التعلم بالمحاولة والخطأ *trial and error* فسلوك المحاولة والخطأ هو أساس الإشرط الإجرائي لسكنر.^{٣٦} حيث نجد أن كثيراً من الاستجابة الخاطئة عند عملية الطريقة السمعية الشفوية تحدث قبل أن تحدث الاستجابة الصحيحة التي تستحق التدعيم. فإن المحاولة والخطأ موجود حتى في تعلم اللغة الأولى. وكثيراً ما يوجد في اللغة حين ن فشل في نطق جملة ما ثم ننجح في المحاولة التالية، فليس من المحال أن يحدث عند تعلم اللغة الثانية.

ز. كون الطالب مستقبلي ومستنتج

من أساليب الطريقة السمعية الشفوية أن يقرأ المعلم النص الأسس جملة فجملة، ويشير بيده أوبعضاً إلى الصور التي تبين معنى كل جملة أو عبارة في أثناء قراءتها. ثم يعود ويقرأ مرة أخرى، والطلاب يرددون خلفه بصورة جماعية، جملة جملة. ويشير مفهوم المثير – الاستجابة في السلوكية إلى أن كل سلوك هو استجابة لمثيرات معينة وأن الهدف الأساسي لعلم النفسي هو التعرف على تلك المثيرات والاستجابات المرتبطة بها، والعمليات التي تتغلغل بين المثير والاستجابة. ويتبع ذلك أن أي تغيير في حجم المثير أو نوعه يؤدي إلى تأثير في الاستجابة.^{٣٧} مؤسساً على هذه النظرية السلوكية فلا استجابة تحدث إلا بالمثيرات المعنية المقدمة إليها عند تغيير السلوك. أما تطبيق هذه النظرية للطريقة السمعية الشفوية بحيث يكون المعلم أكثر نشاطاً وفعالاً داخل الفصل لأنه بصفة المثير الأولى، والمعلم يمارس نموذجاً للمتعلم بجانب الطلاب يحاكيه

^{٣٦} جلال شمس الدين، علم اللغة.....، ص. ١٩١

^{٣٧} Abdul Chaer, *Psikolinguistik Kajian.....*, p. 223

ويقلده بالسرعة والضبط. ويكون الطلاب بصفته استقبالية استنتاجية بالحوار حثًا على المعلم، لأن المعلم قد كان جازما، تلقينا ودعاية في الفصل.^{٣٨}

س. التدريب الدائم والتعليم الاضافي (Drilling & Overlearning)

حثت الطريقة السمعية الشفوية على قيام المعلم بالتدريب الدائم والتعلم الزائد "Drilling & Overlearning" بأسلوب ذكر المعلم العبارات نحو طلابه لتقوية المثير (السؤال) والاستجابة (الجواب) عند التعليم، لأن في تعليم اللغة الثانية لم يكن كافيا إلا بالمثير والاستجابة دون التكرار والتعزيز. نظرا إلى أسلوب الطريقة السابقة فقد أكد ثورنديك في نظريته عن التعزيز المتواصل. واستنبط على قانون التدريب The Law of Exercise والأثر The Law of Effect كذلك لدي ثورنديك بأن التعليم المتواصل والمتربط سيكون أسرع وأسهل للقبول.^{٣٩} بهذا التدريب الدائم وزيادة التعلم يجبر الطلاب بالتكرار والتقليد لتدريبات الأنماط الجمل صحيحة دون الخطأ. وجعل هذا المنهج العادة الصحيحة للغة. أصل هذا المنهج هو من علم النفس على ضوء النظرية السلوكية.^{٤٠} اعترف السلوكيين بأن العادة تتكون من ترابط المثير والاستجابة المتواصل مصحوبا بالثواب ليكون التعزيز.

ش. قانون المثير والاستجابة دون الأحكام النحوية

من مداخل الطريقة السمعية الشفوية، لقد أدى الإيمان بالمنهج الوصف إلى اعتناق مبدأ أن الكلام الذي ينبغي أن يوصف هو ما يقوله الناس بالفعل لا ما يريد النحوي أن يقوله.^{٤١} هذه الطريقة معتمدة على أساس النشاط

³⁸ Nazri Syakur, *Proses Psikologik.....*, p. 64

³⁹ Muhibbin Syah, *Psikologi.....*, p.96

⁴⁰ Acep Hermawan, *Metodologi Pembelajaran.....*, p. 50

^{٤١} محمود كامل الناقعة، تعليم اللغة.....، ص. ٤٦

الشفهي أي تدريبات النطق وممارسة المحادثة مع إغفال النحو والترجمة إغفالا تاما. ويترك هذه لطريقة تعلم القواعد اللغوية إلا على صورة تدريبات الأنماط النحوية. كما رأى سكينر عالم السلوكي بأن تعلم اللغة عند هذه النظرية هو المسألة المثيرة والاستجابية والتكرارية والثوابية.^{٤٢} وكل المظاهر للطفل هو الجنس من المثير والاستجابة، فمن استولى على علاقة المثير والاستجابة أكثر وهو الذي يحصل على درجة الامتياز، أما الأحوال الجارية في العقل لا مكان لها. ويقدم القياس أساسا لتعليم اللغة أفضل من التحليل. كانت النظرية السلوكية توافقها الطريقة السمعية الشفوية، فيلازم الطلاب بأن يقضوا وقتهم في ممارسة اللغة وليس في تعلم قواعدها (الأحكام النحوية) فقد كانت هذه العملية في صورة المثير والاستجابة دون الأحكام النحوية. ويشتمل القياس على عمليات التعميم والتمييز، لذلك يؤجل الشرح القواعد النحوية إلى أن يتمرس الطلاب على النمط في سياقات متنوعة.

ص. الإشراف الإجرائي

هذه المرحلة تصف عملية المثير والاستجابة والتعزيز. ومن أسس النظرية السلوكية التي تتسرب في بعض طرق التعليم هؤلاء من النظرية الارتباطية ونظرية الإشراف الكلاسيكي. وأخيرا النظرية الإجرائية أو الإشراف الإجرائي بتشكيل ارتباط بين مثير شرطي ما، واستجابة ما، وهي التي تصدر عن البيئة، كما عمله سكينر في تدريب الحيوانات وهو واثق من أنه يمل الأمل في النجاح عندما يستخدم مع الشباب والأطفال، لأن البيئة أكثر فعالا في تغيير السلوك. فاتخذت الطريقة السمعية الشفوية نظرية الإشراف الإجرائي للسلوكية في بعض أساليبها، وهي بصورة تدريبات الأنماط من حيث الترابط بين علاقة المثير والاستجابة. فهذه العملية من أجل تكوين البيئة اللغوية ليمارس

⁴² Nazri Syakur, *Proses Psikologik.....*, p. 64

التعليم في نفوس الطلاب. ثم توجب استخدام المعينات الصوتية والبصرية من أشرطة تسجيل وأفلام تعليمية وغيرها،^{٤٣} من أجل تكوين البيئة اللغوية الجيدة على إنجاح تعليم اللغة.

ض. تصرف المعلم التام في تكوين السلوك اللغوي داخل الفصل

تصرف المعلم التام في تكوين السلوك اللغوي داخل الفصل عند الطريقة السمعية الشفوية باستخدام الوسائل المعينة والأنشطة التربوية، من أمر لازم في هذه الطريقة لأنها تنقل إلى الطالب الخبرة من عدم اتصاله المباشر. طبقا من خصائص النظرية السلوكية أن يكون المعلم أكثر نشاطا وفعالا مع أن المتعلم لا يدرك ماذا فعل فأصبح المعلم المثير على المدخلات وعمليات سلوك الإنسان.^{٤٤} كما أكدتها السلوكية من تجاربة الإشراف والبيئة. فإنها يستدعى المعلم بأن يكون المهندس الأول في تشكيل سلوك الطالب المناسب بمادة التعليم. فجعل المعلم عميل سياسي في تلقين الطلبة ودعايتها الجازمة بالإشراف الفعال أو الإجرائي للسلوك اللغوي عند الطلبة.

ط. التعليم المرسوم المتواصل بمستويات الطلبة

قامت الطريقة السمعية الشفوية بالتمييز مواد التعليم حسب المستويات، فعلى مستوى الجامعة فإن الطلاب كثيرين يدرسون اللغة الأجنبية كمتطلبات لهم، أو الحصول على مركز اجتماعي مرموق. أما بالنسبة للمدارس العالية أو الثانوية فربما لا يكون الطلبة على إدراك تام بأهداف دراستهم للغة الأجنبية، وفي جميع الحالات، على المدرس أن يتفهم دور الدافعية في تحديد رد فعل الطالب لطرق الدراسة ومحتواها، وينبغي عليه أيضا أن يعرف كيف

^{٤٣} علي الحديدي، مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب. (القاهرة: دارالكتب العربية، دون

اسنة)، ص. ٥٠.

^{٤٤} Abdul Chaer, *Psikolinguistik Kajian*, p. 87

يوجهها. لوعدنا إلى تجربة بافلوف وسكنر نحو الحيوان، إذ أرادهما على إتيان المثير الشرطي أي مثير محدد ما لحدوث الاستجابة الشرطية ما كإفراز اللعاب والضغط على رافعة الحصول على حبة الطعام.^{٥٠} انطلاقا على هذه التجربة فتصميم أهداف التعليم للطريقة السمعية الشفوية لأغراض ما، ستميز مستويات الطلاب في عملية تعليم اللغة. فيكون هذا التعليم بهذه الطريقة مرسوما متواصلًا بمستويات الطلبة.

الخاتمة

استنباطا من البحث السابق أن النظرية السلوكية تشمل على فكرة بافلوف، واتسون، ثورنديك وسكنر وبعض قليل من كلارك هل، جوثرى حيث فيها تأثيرا عظيما في طريقة تعليم اللغة الخاصة في الطريقة السمعية الشفوية، حتى يتبنى مفهوما أن النظرية السلوكية تكاد تتساوى بالطريقة السمعية الشفوية لوجود التشابهات الوافرة بينهما في عناصرها بالنسبة إلى الطريقة المباشرة، فمن عناصر السلوكية في هذه الطريقة هي: أن عملية تعليم اللغة الثانية لا تخلو من العوامل الأربعة (المثير والاستجابة والتعزيز ثم التعديّة)، اللغة هي العادة، «التعلم هو العادة»، وأن التعليم يكون العادات، الترتيب الطبيعي، التركيز بالجانب الصوتي، المباشرة في تنظيم ممارسة اللغة، أن تعليم اللغة الثانية بدأ بسماعة أصوات اللغة، الاتصال المباشر بلغة الهدف، تحريم ترجمة المواد إلى اللغة الأم أو اللغة الأولى، تقوية الاستجابة الصحيحة بالتدعيم (العادة)، عادة اللغة الأجنبية تتكون بطريقة أكثر تأثيرا بإعطاء الاستجابة الصحيحة وليس بارتكاب الأخطاء، التدريب الدائم (Drilling)، كون الطلبة استقبالية استجالية، قانون المثير والاستجابة دون الأحكم النحوية، الإشراف

٤٥ جلال شمس الدين، علم اللغة.....، ص. ٧٢

الإجرائي، تصرف المعلم التام في تكوين السلوك اللغوي داخل الفصل ثم أخيراً التعليم المرسوم المتواصل بمستويات الطلبة.

مصادر البحث

إبراهيم، حماده. ١٩٨٧. الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها. القاهرة: ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي.

بروان، دوجلاس. ١٩٩٤. أسس تعلم اللغة وتعليمها. الجزء الثالث. بيروت: دار النهضة العربية.

جابر، جابر عبد الحميد. ١٩٨٢. سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم. الكويت: دار الكتب الحديث.

حجاج، علي حسين وعطية محمود هنا. ١٩٨٣. نظريات التعلم دراسة مقارنة. الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الحديدي، علي. دون السنة. مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب. القاهرة: دارالكاتب العربي للطباعة والنشر.

الخولي، محمد علي. ٢٠٠٠. أساليب تدريس اللغة العربية. الأردن: دار الفلاح. الدين، جلال شمس. دون السنة. علم اللغة النفسي، المناهج والنظريات. الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.

طعيمة، رشدي أحمد. ١٤٢٣. المرجع في التعليم. الجزء الأول. الخرطوم: جامعة أم القرى.

العربي، صلاح عبد المجيد. ١٩٨١. تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية

والتطبيق. القاهرة: مكتبة لبنان.

الناقة، محمود كامل. ١٩٨٣. تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

نشوي، عبد المجيد. ١٩٨٧. علم النفس التربوي. بيروت: جامعة اليرموك، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

يوسف، جمعة سيد. ١٩٩١. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي. الكويت: عالم المعرفة.

Chaer, Abdul. 2003. *Psikolinguistik Kajian Teoritik*. Jakarta: PT Rineka Cipta.

Dardjowirdjojo, Soenjono. 2005. *Psikolinguistik Pengantar, Pengantar Pemahaman Bahasa Manusia*. Jakarta: Yayasan Obor Indonesia.

Effendy, Ahmad Fuad. 2005. *Metodologi Pembelajaran Bahasa Arab*. Malang: Misykat.

Ghazali, Ahmad Syukur. Tanpa tahun. *Pemerolehan dan Pengajaran Bahasa Kedua*. Jakarta: Proyek Pengembangan Guru Sekolah Menengah IBRD Loan no 3979.

Suryabrata, Sumadi. 2002. *Psikologi Pendidikan*. Cetakan Kesebelas. Jakarta: PT Raja Grafindo Persada.

Syah, Muhibbin. 2004. *Psikologi Pendidikan Dengan Pendekatan Baru*. Cetakan kesepuluh. Bandung: PT Remaja Rosda Karya.

Syakur, Nazri. 2004. *Proses Psikologik dalam Pemerolehan Bahasa*. Yogyakarta: Bagian Akademik UIN Sunan Kalijaga.

Uno, Hamzah B. 2006. *Perencanaan Pembelajaran*. Cetakan Pertama. Jakarta: PT Bumi Aksara.